العرب
الإثنين 2020/05/11
السنة 42 العدد 11699

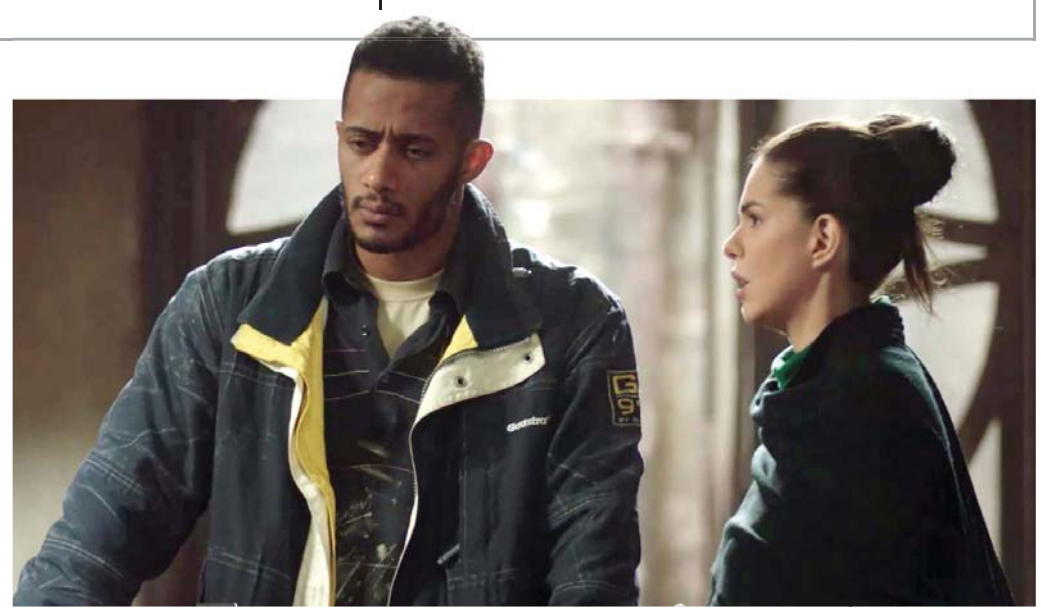

فكرة أصيلة وبطل نمطي

محمد رمضان يعيد تكرار نفسه في «البرنس»

مسلسل يستلهم قصة النبي يوسف مع إخوته بشكل جديد

يعد المسلسل المصري "البرنس" امتدادا لسلسلة من الأعمال الدرامية المعنية بمشاكل تفضيل أحد الأبناء على الآخرين في مشاعر الحب والتقدير، وخلافات المواريث بين الأشقاء، مع مساحات أوسع من العنف اللفظي والجسدي غير موجودة في العالم الحقيقي، يتم تفصيلها فقط على مقاس الفنان محمد رمضان.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

لا يخرج الفنان محمد رمضان في مسلسل "البرنس" كثيرًا عن مساحة ثابتة يتحرك فيها في أعماله الفنية، من خلال دور شاب يتسم بصفات ابن البلد الكاملة من الشجاعة والتضحية وعدم التفريط في الحقوق، ويتعرض لظلم وقسوة من شبكة المحيطين به ثم يتحول إلى شرير ينتقم من الجميع.

تبدو القصة بسيطة من الوهلة الأولى، حيث حامد الذي يقوم بدوره الفنان عبدالعزيز مخيون، والمتزوج من ثلاث سيدات ماتت إحداهن أثناء ولادة رضوان البرنس الذي يقوم به الفنان محمد رمضان، ما يجعل والده يفضله عن باقي أبنائه الستة لكونه يتيم الأم، ولأنه الوحيد الذي يساعده في ورشة دهان السيارات ولا يخالف تعليماته قرر كتابة كل أملاكه له وحرمان الآخرين من الميراث.

تدخلات مستمرة

يلعب المسلسل الذي يعتبر مشروعًا خاصا بالمخرج محمد سامي كتابة وإخراجًا، على قصة دارجة في التراث الدرامي تجمع بين الاستلهام من سيرة النبي يوسف وصراعات الأشقاء حول الحب، مع دمجها بمشكلات المواريث التي تدفع بالبعض للتخلي عن رابطة الدم، وسبق تقديم ذلك الخليط في أعمال عدة، أهمها "ولي العهد" لحمادة هلال، و"الليل وآخره" ليحيى الفخراني، و"الرحايا" لنور الشريف.

يمنح العمل أشقاء رضوان مجموعة من النقائص البشرية الشبيهة بالخطايا السبع المميتة أو الذنوب الكاردينالية التي استخدمت لتوعية وتوجيه أتباعها منذ بداية المسيحية لوصم كل الأفعال غير الأخلاقية، لتعاني شخصياتهم من الغرور والجشع والشهوة والحسد والشراهة والغضب والكسل والتواكل.

يعشق أشقاء رضوان كل أنواع الشرور، ففتحي (الفنان أحمد زاهر) هو تجسيد شيطاني للغرور والغضب، وعبدالمحسن (الفنان إدوارد) يجسد المعاني الحرفية للكسل والخنوع لإهانات زوجته الراقصة، وياسر (الفنان محمد علاء) يقيم علاقة جنسية بزوجة أخيه يمثل حرفيًا الشهوة، ونظرات عبير (الفنانة رحاب الجمل) تحمل كما رهيبا من الحسد، وعادل (الفنان أحمد داش) يعبر عن الشراهة بإدمانه للمخدرات وإقامته علاقة كاملة مع فتاة دون زواج.

يتضمن المسلسل تباينا نسبيا في مساحة الدور المعتاد الذي يلعبه محمد رمضان الذي تم تحجيمه على غير المعتاد، لصالح حزمة كبيرة من الممثلين تمت الاستعانة بهم. ولا يضم العمل اختلافًا في الأداء أو ملامح الدور، ففي "البرنس" يجسد مدير ورشة لدهان السيارات يتآمر أشقاؤه ضده ويقتلون ابنه وزوجته ويدبرون له قضية سرقة ليشبه كثيرًا دور "حربي كرامة" بائع السكاكر الذي يتعرض للنصب في شراء وحدة سكنية في "زلزال".

تظهر تدخلات رمضان في كتابة السيناريو وتنميطه كثيرًا، ففي آخر ثلاثة أعمال درامية قدمها كان الرابط الأساسي بينها، وفاة الأب قبل الحلقة الرابعة ليصبح الشاب مطالبًا إما بالأنفاق على أسرته وإما تحمل تبعات الوفاة بصراعات مفروضة عليه لكنه يخوضها في النهاية، وينتصر مع شعارات براقة تخاطب جمهور الشباب الشعبي: "حقك لا تتنازل عنه ولو كان تحقيقه يتطلب موتك أو الإيذاء".

يشير اسم المسلسل ذاته بوجود بصمة للفنان الذي يثير غضب زملائه بتوصيف نفسه بعبارة "نمبر وان"، مع تكراره التضخيم المتكرر في منتجه الفني، لينضم "البرنس" أو "الأمير" إلى سلسلة أعمال "قلب الأسد، والأسطورة، والسلطان، والملك، نمبر وان، نسر الصعيد، وزلزال"، مخالفًا نصائح النقاد بالابتعاد عن تلك الدائرة الغرورية التي دفعته قبل سنوات إلى ربط عرض عمل مسرحي له (شكرا رمضان)، وإزالة اسم "الزعيم" من مسرح طالما اعتلى خشبته عادل إمام بحي الهرم في الجيزة القريبة من القاهرة.

> المسلسل يقوم على قصة دارجة في التراث الدرامي تجمع بين الاستلهام من سيرة النبي يوسف وصراعات الأشقاء

جاء إمساك محمد سامي بتلابيب العمل من السيناريو والحوار والقصة على حساب الإخراج، ففي حلقة واحدة وقع في ثلاثة أخطاء ساذجة، بوضع جهاز رسم القلب لـ"رضوان" في المستشفى على ذراعه بدلاً من صدره، ووضع أنبوب في فمه أثناء إجرائه عملية جراحية بدلاً من جهاز تنفس اصطناعي، وزاد الطين بلة بمشهد وقوعه من سرير العمليات، لينهض بنفسه بمساعدة الممرضات رغم خضوعه لعملية شديدة الخطيرة.

رائحة البلطجة

تخلى رمضان في "البرنس" عن مساحة البلطجة المعتادة في أعماله، لكن رائحتها ظلت باقية، فبعد ساعات من هروب رضوان من المستشفى دون استكمال علاجه في أعقاب تعرضه لحادثة سيارة سبب كسرًا في ذراعه والعشرات من القطب في بطنه، يهاجم منزل فدوى (الفنانة روجينا) تاجرة المخدرات وزوجة أخيه السرية، ويشتبك مع أربعة من أتباعها المسلحين، ويطيح بهم أرضًا بيد واحدة فقط.

يحافظ الفنان المثير للجدل دائمًا على خط الرومانسية غير المكتملة في أعماله، ففي "البرنس" كانت تجمعه قصة حب لعلا (الفنانة نور) لم تكتمل وتزوجت بآخر، وفي "زلزال" العام الماضي جسّد دور "حربي كرامة" الذي يحب فتاة من طبقة أعلى فيرفض والدها طلب زواجه، وفي "الأسطورة" تكررت اللازمة ذاتها مع تغيير بعض التفاصيل البسيطة، يحمل رمضان لقبًا جماهيريًا يصفه بـ"أسطورة قصص الحب الفاشلة".

يرى النقاد أن فكرة المسلسل أصيلة في الدراما المصرية، لكنها عانت الشطط في رسم السلوك الانتقامي لشخصياته التي لا تتماشى كثيرًا مع الواقع، بتقديم شخصيات ملائكية غير موجودة في الحقيقة مثل رضوان وحبيبته الأولى علا، وشر دفين مستمر على طول الخط في شقيقه فتحي الذي ارتكب خلال أول 15 دقيقة من الحلقة الأولى موبقات ورذائل الدنيا كلها.

تقول الناقدة ماجدة خيرالله، لـ"العرب"، إن الدراما تحاول استثمار نجاح ثيمة معينة، وتعيد استنساخها باستمرار، ففكرة صراعات الأشقاء على الميراث قريبة من الواقع وتعاني منها الملايين من الأسر، وتم تقديمها في العشرات من الأعمال التي اتسمت غالبيتها بالنجاح، ويكفي أن عام 2010 شهد وحده تقديم خمسة أعمال دفعة واحدة عن قضية الميراث وخلافاتها.

يعتمد العمل على عنصر الحلول السهلة غير المنطقية أحيانًا في معالجة تعقيداته، فاكتشاف رضوان زواج شقيقه فتحي السري جاء أثناء نزوله من سلم عمارة لا يقطنها ويرى صورة شقيقه معلقة على الحائط من باب شبه موصد في مبالغة شديدة.

وتكرر الأمر ذاته في محاولات قتله بالمستشفى فمع غلق شقيقه فتحي صمام التنفس الصناعي وقع رضوان من السرير فجأة دون مبرر ليتم إنقاذه، وحتى في حل إشكالية وجود علاقتين عاطفيتين لرضوان كان الحل السهل بالتخلص من واحدة منهما بالموت، وطلاق الأخرى من زوجها لفتح مبرر لعلاقة مستقبلية بينهما.

يكمن نجاح كاتب الدراما المحنك في رسم أحداث غير المتوقعة والحفاظ على خط التشويق طوال العمل، لكن في "البرنس" وصلت التعقيدات في الحلقات الأولى إلى ذروتها، ما جعل العمل يأخذ منحى عرضيًا وتوقعا للأحداث مع إعداد فيديو تشويقي كشف أكثر من اللازم عن قصة المسلسل وتفاصيله.

تضيف ماجدة خيرالله، أن رمضان ينتقي أسماء شخصياته في أعماله الدرامية التي يعتبرها تجسيدًا لذاته أكثر من الاهتمام بجودة الأعمال وبقائها، فألقاب الفنانين منحها لهم الكتاب والنقاد بعد جهد طويل، ومحاولة الممثل فرضها يسحب من شعبيته ويعرضه لأزمات مستقبلية، فأي فنان حينما يخفق يمكنه العودة من جديد عبر عمل فني آخر، لكن رمضان لو تعرض للفشل فلن تقوم له قائمة مجددًا.

يواجه العمل حاليًا مشكلة قانونية بسبب الصورة الذهنية التي يريد رمضان رسمها لذاته، بعدما رفع صاحب المطاعم الشهير ناصر البرنس دعوى قضائية ضد العمل يتهم صناعه بتقديم جزء من قصة حياته دون استئذانه، فسبق له العمل بمجال دهان السيارات 10 سنوات ومطعمه يحمل نفس اسم ورشة رضوان في العمل "البرنس"، ونجله يحمل نفس الاسم ذاته لنجل بطل المسلسل "سيف"، ما أضرّ بسمعته ومواجهته استفسارات حول أكله حقوق أشقائه.

الدراما التونسية.. «قوّة نائمة» تنتظر باثها المُنتظر!

صابر بن عامر
صحافي تونسي

جدل ولغط كبيران رافقا المسلسلات الخمس التونسية الرمضانية التي عُرضت وما زال بعضها يُعرض على الفضائيات التونسية الخاصة منها والعمومية، خاصة "نوبة 2" (عشاق الدنيا) للمخرج التونسي عبدالحميد بوشناق الذي أعلن منذ بداية شهر ذروة المشاهدة التلفزيونية أنه من 30 حلقة متصلة ستُرافق المشاهد التونسي على امتداد رمضان الحالي.

أما مُسلسلا "قلب الذيب" و"27" اللذان عرضتهما "الوطنية 1" العمومية، فقد أعلن صنّاعهما، فعليا، انتهاء حلقاتهما الخمس عشرة مع انتصاف الشهر، وبذلك انتهى العرض وانفضّ المجلس، ولم ينفض حقيقة.

أسئلة عديدة بقيت عالقة في أذهان وأقلام الشغوفين والفاعلين ونقاد الفن بتونس، على حد سواء، حول مدى وقع هذا "الفن الثامن" الذي يقتحم بيوتنا عنوة على الذائقة والناس؟

قوّة ناعمة، تعدّها مصر، على سبيل الذكر لا الحصر، إحدى الدعائم الأساسية لاقتصادها الوطني، منذ أوائل سبعينات القرن الماضي، وهو ما انسحب تماما في حقبة لاحقة على سوريا، التي نافست نظيرتها المصرية وتفوّقت عليها أيضا في بداية الألفية الثالثة، فسحبت البساط من تحت أقدام مصر، هبة النيل و"النايل. تي.في" أيضا (الفضائية العمومية الأولى بالبلد، قبل أن يُغرقها تسونامي الفضائيات المنافسة).

لتعيش عشر سنوات درامية عجافا، لتُعاود استرداد بعضها بعضا من عافيتها، أخيرا.

هذه القوّة الناعمة القادرة على السفر بعيدا باللهجات والعادات والهويات وحتى السياسات المخصوصة لأوطان دون سواها، ظلّت وإلى الآن بتونس محلية وفي أبهى الحالات مغاربية، لا أكثر.

ومهما يكن من أمر هذه القوّة الناعمة، والأصحّ النائمة، فقد أثبتت موسمية الدراما التونسية للمرّة الألف، أن صنّاعها لم يفهموا بعد، أو لعلهم يتعمّدون عدم فهم حجم السحر الذي يمكن أن تخلّفه بضاعتهم، على هشاشة بعضها أحيانا، في أنفس الملايين من المتابعين الشغوفين لهكذا دراما تحكيهم وتسليهم في الآن ذاته.

أجل، وقطعا وحتما، لم يفهموا بعد مدى قدرة هذا الفن العابر للفضاء العائلي والمعبّر عنه على تغيير الذائقة الفنية للمواطنين المُرهقين اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا، في ظل الأزمات والمُشكلات المتعاقبة التي حلّت بالبلد وقوّضت استقراره السوسيو – اقتصادي منذ ثورة 14 يناير 2011 إلى يوم الناس هذا.

وإلاّ فما معنى أن يُطالعنا عملان مُنتهيان وهما "قلب الذيب" و"27" بنهايات مفتوحة، تبشّر بجزء ثان وربّما ثالث ورابع، والحال أنهما وبإجماع كل ناقد ذي رأي حصيف أثبتا خللهما تقنيا وسرديا وإنتاجيا.

ثمّ متى يفهم هؤلاء الصناع المغامرون، أن الدراما عرق وجهد وبرمجة وإستراتيجية وتدبير، والأهم سوق تخضع للعرض والطلب. ليست نزوة فنية اجتاحتهم اجتياحا ودون تفكير مُسبق، فيركبون الموجة كيفما اتفق ليغرقوا إثرها في قعر سحيق.

أن تعلن بالتصريح أو التلميح مع إقفال المسلسل من خلال النهايات المفتوحة عن إمكانية إضافة جزء ثان في الموسم الرمضاني القادم، أقول إمكانية وليس حتمية، ففي ذلك مُغامرة غير مضمونة العواقب بالضرورة، في ظل خوف وانعزال، بل وانسحاب القنوات الباثة ورفضها إعادة التجربة لاحقا. ومثالنا على ذلك أمثلة، وليس مثالا واحدا، وللأسف. فالكل يذكر ذاك المسلسل المعنون بـ"الأكابر" والذي بثّته قناة "حنبعل" الخاصة في رمضان 2016.

مسلسل من إخراج مديح بلعيد عن سيناريو أصلي للشاب محمد عزيز هيام وإعادة صياغة السيناريو والحوار لمحمد علي دمق وحسام الساحلي. وهو أول مسلسل تونسي مشترك تونسي – لبناني. وذلك من خلال مشاركة نجمي الدراما اللبنانية إيلي شالوحي وجويل الفرن ومن تونس كل من زهيرة بن عمار ومحمد مراد ومرام بن عزيزة ورشا بن معاوية ومحمد علي بن جمعة وحسام الساحلي وريم الرياحي وزياد التواتي ونجلاء بن عبدالله وآخرين.

ويروي العمل قصة طفل صغير من أصول تونسية عاش في ميتم في لبنان بعد وفاة والدته، ليعود بعد عشرين سنة إلى وطنه الأم للانتقام من عائلة العثماني التي تخلّت عنه وهو صغير.

مسلسل بوليسي مشوّق وبأحداث مُتسارعة ومُتلاحقة، والأهم بنهاية مفتوحة تُحيل إلى جزء ثان مُنتظر، بل ومكتوب أساسا وفق ما أعلمني به كاتبه السيناريست الشاب محمد عزيز هيام. ومرّت أربع سنوات، ولم يأت هذا "المُنجز المُنتظر".

والسبب بسيط، هو أن القناة البّاثة أعدمت جزءه الثاني قبل ولادته أصلا، وذلك بعدم تسديد معلوم اقتناء جزئه الأول من منتجه عبدالعزيز بن ملوكة. فكان مآل العمل ككلّ، سلّة المهملات!

الأمر ذاته تكرّر هذا العام مرّتين، الأولى حين أنقذت قناة "التاسعة" الخاصة "نوبة" عبدالحميد بوشناق في جزئها الثاني والمُعنونة بـ"عشّاق الدنيا" من الإعدام الجماعي لطاقم العمل وأحلامهم، وذلك بعد رفض قناة "نسمة" الخاصة أو عدم رغبتها –بقيت الأسباب مجهولة إلى الآن– في بثّ جزئه الثاني؟

> الدراما قوّة ناعمة قادرة على السفر بعيدا باللهجات والعادات والهويات المخصوصة لأوطان دون سواها، إلاّ في تونس

> كيف يُغامر صناع الدراما التونسية بإعلانهم الصريح عن إنتاج جزء ثان من مسلسل لا يعرف قناته الراعية والعارضة له؟

ولكم أن تتخيّلوا حجم الخسارة التي كان يُمكن أن يتكبّدها صنّاعه في صورة عدم تمكنهم من إيجاد قناة باثة له، قد يقول بعضكم إنهم سيجدون في مواقع البث الرقمية بديلا.

أجل، هذا صحيح. لكن المُشاهد التونسي لم يتعوّد بعد على مثل هذه التقنيات المتطوّرة والمبادرات غير المسبوقة، على اعتبار أن الدراما التونسية، وهي كما أسلفنا موسمية بالضرورة، لا تحلو له مُشاهدتها إلاّ وسط اجتماع عائلي مصغّر وأمام جهاز التلفزيون، وتلك مسألة نفسية أخرى يطول شرح خلفياتها.

الأدهى من ذلك أن "قلب الذيب" الذي بثّته أخيرا "الوطنية الأولى" ظلّ مُعلّقا بين الأرض والسماء –أرض العرض ومستهلكيها وسماء البثّ وأصحاب القنوات فيها– حتى مع حلول هلال الشهر، نتيجة الصراع الذي قام حول حقوق البثّ التي جرت بين القناة الخاصة "الحوار التونسي" والقناة العمومية "الوطنية 1"، ليتدخل القضاء، أجل القضاء، على الخط ويفصل النزاع نهائيا، ويمنح حقّ البثّ، الحصري، للقناة التابعة للدولة التونسية.

والسؤال هنا كيف يُغامر كل من يسري بوعصيدة مخرج ومنتج "27" وبسام والحمراوي المخرج وخولة سليماني منتجة "قلب الذيب" بإعلانهم الصريح عن إنتاج جزء ثان من مسلسلين لا يعرفان قناتهما الراعية والعارضة، إلاّ ما رحم ربي.

ورحم ربي هذه، مقصورة في تونس على شخص واحد وحيد أحد، اسمه سامي الفهري، الإعلامي ورجل الأعمال المسجون (فكّ الله أسره) المالك لقناة "الحوار التونسي"، والمخرج أيضا وصاحب فكرة مسلسل "أولاد مفيدة" بأجزائه الخمسة وربّما إلى ما لا نهاية، طالما هو الحاكم بأمره في قناته وذبذباته.

ومن هناك بات أمر الصناعة الدرامية، وكما يُقال في المثل الشعبي التونسي "العزري أقوى من سيدو"، بمعنى الخادم أهم من المخدوم، في ظل لعبة لن تنتهي بين طرفي الصراع، المنتج والبّاث له، أساسها كسب رضاء المعلنين والداعمين، أولا وأخيرا، أما الفن الحقّ المنتصر للجماليات، فله رب اسمه كريم!؟